

## ظاهرة هامة

للأستاذ عبد المغني على حسين

—♦♦♦—

يروى كثير من الناس عن بعض الذين ماتوا من أقرانهم أو أصدقائهم ، أن هؤلاء ، عند ما حضر الموت كانوا يهتفون بأسماء بعض الذين سبقوهم إلى الدار الآخرة . ويروي الراون أن المحاضر كان يتحدث إلى (الوقت) كما لو كانوا منه على مرأى وعلى مقربة . أما قول الناس في تعليل ذلك فهو أنه هذيان نتيجة اختلال الشعور . وبعض الناس يسلم بالعجز عن تعليل هذا الأمر . والجميع يعرفون بالتجربة أن المريض إذا (نادى على الأموات) على حد قولهم ، فقد تحقق دنو أجله ، ولم يمد ثم أمل في تماثله .

هذه الظاهرة معروفة مشهورة في بيئتنا المصرية ، ولا أحسب القاري الكريم إلا قد سمع بها ، إن لم يكن شهداها بنفسه . ولكن أرجو ألا يحسبها قاصرة على البيئة المصرية ، أو على أية بيئة معينة ، فالواقع أنها شائعة في العالم أجمع ، ومعروفة بين بني البشر على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ومدنياتهم ودياناتهم . وهي ، بالنظر لشيوعها هذا ، خليفة أن تسترعى اهتمام الباحث المفكر ، سيما وأنها تتصل بذلك السر الأعظم : الموت . هذه الظاهرة قد استرعت فعلا اهتمام من اشتغلوا بالبحوث الروحية ، وهي عندهم عظيمة الدلالة والخطر .

أما الآن كتاب أخرج في عام ١٩٢٥ ، لأحد كبار الباحثين الروحيين من الإنجليز ، هو سر وليم باريت ، عضو الجمعية الملكية البريطانية (T.R.S) ، وفي هذا الكتاب دراسة مستفيضة لتلك الظاهرة الشائعة ، ومن يتصفحها يركف يمكن أن يصل الباحث إلى نتائج خطيرة من ظواهر مشتتة لا تحتمل في ظاهرها دلالة ولا قيمة علمية . عمد الباحث المذكور إلى دراسة هذه الظاهرة دراسة استقرائية على طريقة العلم الحديث التي بلغت به ما بلغ . تلك الطريقة القائمة أولا على شهود أكبر عدد ممكن من الظواهر ، ثم وصف تلك الظواهر بدقة وتفصيل وصدق ، ثم المقارنة بينها وملاحظة ما فيها من عناصر مشتركة ، ثم استنتاج ما يمكن استنتاجه . ويأتي بعد ذلك استنباط التجارب

أزول عن حكك ؛ ولا تنأ عني ، فقال له : أنا الرجل اللوب بالقسطاط وقد خلفت شملا جئا ، ونعمة واسعة . إنما لي الخوف على نفسي . فقال له : يا سيدي فالل في يدك وما لك من الدواب فأتت أعرف به مني فاحتكم فيه ، فأخذ بفالا اصالح لثله ، وخرج النصراني معه . وقدم كتابا إلى عامل ونة من مستقره ، فتلقاها عامل المعونة في بعض طريقه ، ووصاه ببيع العمال بالنصراني ، وصار إلى الحضرة فأصدر اليهم الكتب الوصاة به إلى أن قدم بعض العمال المتجرة فتتبع النصراني ورام ادة عليه نخرج إلى بنداد

« قال لي هرون إن ياسين قال له : إن النصراني حدثه أنه مل إلى بنداد فلم يربها أدنى محلا ، وأكثر قاصداً منه ، ثم تأذنت عليه وعنده جمع كثير نخرج أكثر غلما نه حتى استقبلوني رأني قام على رجله ثم قال : مرحبا يا أستاذي وكافلي والقائم حين قعد الناس عني . وأجلسني معه وانكب على ولده وشمله ، ا أتأمل مواقع الاحسان من الأحرار ، وسألني عن حاله في عني فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه في مجلسه فنظر إليه من نا عنده ، وقال له : كنت السبب في تقليد أخيك فصار أكبر بي في مساتي ، فكتب من مجلسه كتابا إليه بجملة الخبر وأنفذه .

ت عنده حولاً في أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد على كتب ابن نجبروني بانصراف العامل عن جميع ما كان اجترض عليه أسرى . وأخرج أمر السلطان في إسقاط أكثر خراج عي والاقطار بي على يسير من مالها . قال ياسين فكتب سرائي ينفد حجة أشهد فيها على نفسي أن أسله في جميع باع التي في يده (وسماها وحددها) لهذا الرجل الذي كان بي ، وصار بها إليه ، فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع ، أراك أحق بها من سائر الناس ، فاستمع الرجل من ذلك وقال عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الأضنان عنك ، بت أقطمها بقبض هذه الضياع عنك . ورجع النصراني إلى سطاط بجهد الشهادة له فيها . فلما توفى النصراني أقرأها في يد به ، ولم يزالوا معه بأفضل حال »

محمد كرد علي

— في زعمه — بين الأحياء . يكون المحضر مثلاً قد دخل مستشفى منذ شهر أو أكثر ، وفي تلك الأثناء توفي فجأة واحد من أقربائه ، فكم الأهل والأطباء عنه الخبر حتى لاتسوء حاله الصحية بتأثير الصدمة والحزن ، فتأتي ساعة احتضاره فإذا به يتحدث بمض الذين ماتوا من قبل ، وبينما هو يتحدثهم إذا به يقول مندهشاً « ما هذا ؟ أهذا أنت يا فلان ؟ وما الذي جاء بك مع هؤلاء ، وكان يجب أن تكون في جهة كذا الآن ؟ . . . » ثم ينظر إلى الحاضرين ويقول « لماذا لم تخبروني بأن فلاناً قد سبقني ، فهاهو ذا قد جاء ليستصحبني . . . » أو نحو ذلك من الكلام .

وإني أورد هنا حالة من تلك الحالات اخترتها لا لأنها مؤثرة بل لأن فيها جميع العناصر التي يطلبها الباحث : طفلة في الثامنة من عمرها تدعى جيني ، لها صديقة في نحو سنها تدعى أديث . مرضت جيني وقلت إلى مستشفى ، وفي أثناء مرضها توفيت أديث فجأة ، وكم الخبر عن جيني ، فلما جاء الموت يطلب جيني رجعت الحاضرين أن يعيشوا بصورة من صورها إلى أديث كتذكارة ، مما يثبت أن الخبر كتم عنها حقيقة . وبعد دقائق من رجائها هذا قالت : « انظروا ! هذه هي أديث . إنها تقول إنها ستكون ممي . لماذا لم تخبروني بذلك . . . »

تدل ظواهر هذا النوع من الحالات على أن المحضر يدرك تماماً أن في الحجرة معه طائفتين من الناس ، الطائفة المعتادة من أهل هذه الدنيا ، وطائفة أخرى من أهل العالم الذي هو قادم عليه ، والطائفة الثانية لا تقل عنده عن الأولى وضوحاً ، وليست أبعد عن حسه من الطائفة الأولى .

يقول المؤلف : « إن مثل هذه الحالات تضطر الانسان إلى التسليم بالفرض الروحي ، حتى أن البروفسور شارل ريشيه لم يجد بداً من التسليم بأن نظريته عن الحاسة السادسة لا تكفي لتعليل هذا النوع من الظواهر . . . » (١)

وفي الكتاب أبواب فيها وصف موسيقى سمعت ساعة احتضار بعض الناس دون أن يكون لها مصدر عادي معروف . وبهذه المناسبة أقول إن بعض من أصدقهم روي لي أنه حضر

(١) البروفسور شارل ريشيه أستاذ فرنسي مشهور ، من علماء النسيولوجيا ، توفي منذ بضع سنين ، كان يشغل بالبحوث الروحية وغتر أكثر ظواهرها بافتراض حاسة سادسة للانسان أسمها Cryptesthesia

للقوف على مبلغ صحة هذا الاستنتاج .

لجأ سروليم بارت إلى أصدقائه من أطباء ومديري المستشفيات الكبيرة في مدينة لندن ، طالباً تمكينه من زيارة من حضره الوفاة من المرضى كلما سمحت الظروف وسمح ذوو المريض بحضر نفسه عدداً كبيراً من الحالات ، ودون ما شاهده وسمعه ، وكانت تعاونه في هذا العمل زوجته « ليدى بارت » . وكتب أيضاً إلى أصدقائه من أطباء المستشفيات في عدد كبير من مدن العالم راجياً موافاته بوصف ما قد يعرض لهم من هذا الأمر . وبذا تم له جمع عدد كبير من تلك الحالات ، رتبها وبوبها ، وقدمها لجمعية البحوث الروحية بلندن Society of Psychical Research ثم أذاعها على ملأ القارئ في هذا الكتاب

في الكتاب وصف دقيق لكل حالة ، وبه الأسماء والأمكنة المذكورة ، وكذا الزمن باليوم والساعة والدقيقة . أما المحضر فقد يكون رجلاً أو امرأة ، شيخاً أو شاباً أو طفلاً ، وقد يكون إنجليزياً أو أوروبياً أو أمريكياً أو هندياً أو زنجياً ، وهو في أكثر الحالات يماني آلاماً جسماً ، ووجهه متجههم ، فإذا به ينسى أله برهة ، ويتهلل وجهه ويقول : « ماذا أرى ؟ هذا أنت يا فلان . لقد جئت لتستصحبني . . . » أو نحو ذلك من الكلام ولكن لو اقتصر الأمر على مثل هذا لما كان له كبير وزن من الوجهة العلمية ، إذ من الممكن القول بأن المريض وقد برحت به العلة ، وتسمنت أعصابه ، واضطربت دورة الدم في عنقه ، قد اختلط عقله ولم يعد يفرق بين الحقيقة والخيال ، وصار سواء عنده الشعور الذي يصل إلى عنقه بالطريق المعتاد من الخارج والشعور الذي ينبعث من عقله الباطن ، فالذكريات القديمة تمثل له في شكل حقائق راهنة مصطبنة بالشاعر الستولية عليه ، فهو من هذه الوجهة كالتائم إذ يحلم بالفكرة كأنها شيء محسوس . ولكن الكتاب لا يحوى هذا الضرب من الحالات فقط ، بل به مجموعة أخرى هي بيت القصيد ، وهي النقطة الدقيقة حقاً التي عندها يرغب الانسان على التفكير الجدي في أن كلام المحضر لا يمكن أن يكون محض هذيان .

في الكتاب حالات هتف فيها المحضر باسم شخص مات ولم يكن المحضر يعرف أن ذلك الشخص قد مات ، فكان يبدو عليه التعجب لوجود ذلك الشخص بين ( الأموات ) مع أنه